صورة البطل في رواية براري الحمي لإبراهيم نصرالله

الأستاذ المساعد الدكتور

أمير فرهنگ نيا (الكاتب المسئول)

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشهيد بهشتي – طهران - إيران

a_farhangnia@sbu.ac.ir

طالبة الماجستير خديجة موسوي

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشهيد بهشتي – طهران - إيران

khadijehmousavi1995@gmail.com

The image of the hero in Barārī al-ḥummá by Ibrahim Nasrallah

Assistant Professor Dr. Amir Farhnnia (Corresponding Author)
Department of Arabic Language and Literature , Shahid Beheshti University , Tehran , Iran
Masters Student, Khadijeh Mousavi
Department of Arabic Language and Literature , Shahid Beheshti University , Tehran , Iran

الملخّص :

يعدّ البطل في الأدب الواقعي انساناً عادياً من عامة الناس وبذلك فقد اختلف البطل الواقعي عن نظيره الكلاسيكي والرومانسي، فلم يعد فارساً أو نبيلاً أو إقطاعياً يدين له العالم بالولاء كما هو حال البطل الكلاسيكي ولكنه إنسان عادي لمس وشيج العلاقة التي تربطه بالآخرين والمجتمع وأدرك العلاقة الجديلة بينهما فهو مؤثر ومتأثر في آن واحد، يكافح ليثبت ذاته وينال حقوقة ولكن بجهده وليس على حساب الآخرين. فتغيّر صورة المجتمع ومفاهيمه وقيمه وتصوراته يؤثر في الأدب وخصائصه كما يؤدي إلى ظهور صورة البطل بملامح جديدة وسمات محددة. تعد رواية براري الحمي إحدي أبرز الروايات ذات الصبغة الحداثية التي صدرت في الثمانينات وهي تتميز بمذاق جديد أصيل خاص بها، وذلك بفعل تخليها من عنصر الزمن وتسلسل الأحداث وقيام علاقة تلاحم فيها بين الشكل والمضمون واعتماد توازٍ زمني للأحداث الانسانية لحقائق المكان المؤلمة والقبضة اللآسرة لتقاليد موروثة منذ قرون والطبيعة الآلية التي تقوم عليها الدوله. يحاول الباحثان في هذه المقاله أن يأتيا بمظاهر البطل علي العام والبطل في هذه الرواية ومعاناته مع المشاكل التي يواجهها في القنفدة تلك الصحراء في المملكة العربية السعودية وفقاً للمنهج المنهج الوصفي- التحليلي. مما توصل إليه المقال هو أنه لا تهتم رواية براري الحمى بوجود البطولة أو الشخصية المحورية ذات سمات وملامح معينة، فالشخصيات في هذه الرواية بلا ملامح أو أبعاد وليست سوى رموز أو ضمائر بلا نهاية ونجد أن نصرالله يقطع بطله عن أية علاقة من شأنها أن تمنحه هوية خاصة بها وتفسيراً لوجوده، فإنه منقطع عن ذاته والآخرين فنجد الالتباس في الرواية هذه، إذ تسيطر على رؤية البطل التهويمات الذهنية والتخيلات المشوشة لامتزاج الحلم بالحقيقة وكذلك نواجه بالشخصيات ذات مصائر مشوشة وضبابية يصورها نصرالله.

الكلمات المفتاحية : إبراهيم نصرالله - براري الحمى – البطل – القنفذة .

Abstract:

The hero in real literature is an ordinary person from the common people, and so the real hero differed from his classic and romantic counterpart, so he is no longer a knight, noble or feudal lord who owes the world loyalty to him as is the case of the classic hero, but he is an ordinary person who touched and irritated the relationship that binds him to others and society and realized the relationship between them He is influential and affected at the same time, striving to prove himself and obtain rights, but his effort and not at the expense of others. Changing the image of society, its concepts, values and perceptions affects the literature and its characteristics, and leads to the emergence of the image of the hero with new features and specific features. Prairie Fever is one of the most novelist stories of a modernist character that were issued in the eighties and it is characterized by its own new original taste, due to its abandonment of the element of time and the sequence of events and the establishment of a relationship between it between the form and the content and the adoption of a temporal parallel to the human events of the painful realities of the place and the fist grip of traditions inherited since Centuries and the nature of the mechanism upon which the state. In this article, the two researchers are trying to bring the appearances of the hero to the general and the hero in this narration and his suffering with the problems he faces in Al-Qunfudah, that desert in Saudi Arabia, according to the descriptive-analytical approach. What the article found is that the Barārî al-ḥummá is not concerned with the existence of the heroism or the pivotal character with certain features and features, the characters in this novel are without features or dimensions and are only symbols or consciences without end and we find that Nasrallah cuts his hero from any relationship that would give him a special identity With it and an explanation of his existence, he is cut off from himself and others, and we find confusion in this narration, as the hero's vision dominates the mental fantasies and confused fantasies of the dream mixing with the truth, and we also face figures with fuzzy and foggy destinies depicted by Nasrallah.

Key words : Ibrahim Nasrallah , Prairie fever, Al-Batal , Al-Qunfudah .

المقدمة

الرواية عمل فني وأدبي وهي من معطيات سياسية واجتماعية واقتصاديه في زمن معين تنهض الإشكالية الروائيه في منظورها الفني على مقاربة سردية تختلف فيها فعاليات عناصرها من فعل إلى آخر يتجسد خلالها الحدث ويكتشف عن حساسية سردية تنفعل فيها الشخصيات أيما انفعال في ضوء فضاء مكاني وزماني وقام الكاتب بمعالجتها بأسلوبه الخاص الذي ينزل بشكل البطل وقد يكون خيالياً أو واقعياً. يكون نصرالله من الروائيين القلائل الذين يتجسد فيهم الحس الروائي الطاغي بضرورة حرية الفعل السردي في مشروع إبداعي اكتسب خصوصيته وتفرده مشروع ينبع من أرضية تاريخية وجغرافية وحضارية وثقافية وتكون نقطة انطلاقها الأحداث التي جرت ومازالت تجري في فلسطين. يعتبر نصرالله واحداً من أبرز الروائيين العرب المعاصرين الذين كتبوا وبرعوا فيها إلى حد الدهشة.

من أهم عناصر الرواية في الأدب العربي البطل والبطولة التي يدخل فيهما الزمان والمكان والكاتب بمساعدة دور البطل يستعرض مشاكل مجتمعه ومأساته. لقد تبلورت شخصية البطل قديماً في الأساطير وهذه تعد أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية والصياغة الأولى للتاريخ والجغرافيا والاجتماع وظهرت البطولة في الآداب الشعبية القديمة ومنها تشكلت الملاحم ثم التمثيليات ومنها أيضاً على نحو أيام العرب والحكايات الخرافية (عبيد، بياتي، ٢٠٠٧م، ٢). إن الافتراض الرئيسي للرواية المعاصرة، فيما يتصل بمفهوم البطل، هي أن الفكرة السائدة لدى الروائيين والنقاد، هي تلاشي فكرة البطل بعد أن كانت الشخصية المحورية هي السمة المسيطرة على الرواية الكلاسيكية. إن البطل المعاصر في هذه الرواية إنسان عادي بكل ما في هذه الكلمة من معني وهذا ما يجعل النقاد يطلقون عليه البطل غير البطولي"ذلك أن تطور صورة البطل في الآداب العالمية من شخصيات تمثل كمال الفرد الإنساني إلى شخصيات من غمار المجتمع يرد في أساسه المادي والفلسفي إلى التحول الذي طرأ على طبيعة الاقتصاد الدولي وتحوله إلى اقتصاد ليبرالي تنافسي" (المصدر نفسه، ٤٤). يسعي الباحثان إلي الإجابة عن الأسئلة التالية في هذا المقال:

١. ما هي قصة اغتراب أبطال نصرالله وما أثرها في منجزه الروائي؟

٢. ماذا يقصد الروائي من خلال نفسيات البطل في هذه الرواية؟
٣. ما هو دافع إبراهيم نصرالله لكتابة هذه الرواية والتركثز علي أبطالها؟

الدراسات سابقة

من الدراسات التي تناولت موضوع البطل في الأدب العربي هي مقالة البطل في الأدب العربي المعاصر الشخصية البطولية والضحية لسلمى خضراء الجيوسي والمنشورة في مجلة الكاتب، نوفمبر ١٩٧٧، العدد ٢٠، ٤٤-٥٥؛ حيث أشارت إلى أنواع كثيرة من الأبطال تندرج تحت هذا الموضوع العام منها البطل العربي والبطل الثوري والبطل المأساوي والبطل المتمرد والبطل التاريخي النموذجي والبطل اللامنتمي والبطل الضحية ونقيض البطل واكتفت في بحثها بدراسة نوعين فقط وهما الشخصية البطولية-الضحية وتطرقت إلي الي الغربة الروحية في بعض روايات نجيب محفوظ ويوسف إدريس واستنتجت أن النوعين سيحتفظان بأهميتهما ما دامت أوضاعنا الاجتماعية والسياسية المعاصرة في صراع حاد بين قوي الثورة الحديثة وقوي التقهقر الرجعي في العالم العربي. ومقالة صورة البطل في أعمال غسان كنفاني الروائية، قراءة في رجال الشمس وما تبقي لكم أنموذجاً، للباحث عبدالله حسيني وروح الله صفري والمنشورة في مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٤٢، سنة ٢٠١٦، ١٢٧-١٤٨، حيث تناول الباحثان البطل الضحية والبطل المغترب والبطل المتمرد والبطل السلبي واستنتجا أن الرواية الأولي مع أبطالها الثلاثة نقطة اتصال نسبة إلي حياة الشعب الفلسطيني وهي بيان للوجوه السلبية في المجتمع ووصف البطل الضحية والمأساوي وفي الرواية الثانية إن البطل المقاوم والمتمرد يحفظان المنزلة الأولي ثم البطل الضحية والمغترب والسلبي في المنزلة اللاحقة والبطل المأساوي دون أية منزلة. هناك مقالات كثيرة تناولت راويات إبراهيم نصرالله وشخصيته الروائية من أبرزها مقالة تشكلات الغرابة في رواية براري الحمى لإبراهيم نصرالله لفاطمة الزهراء لعايز المنشورة في كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة: جانفي ٢٠١٩، العدد ٢٤، ٣٢٩-٣٤١، حيث قامت الباحثة بالكشف عن مظاهر الغرابة في رواية براري الحمى واستعرضت تلك المظاهر في انشطار الذات وتشكّل القرين وحالة المَابَيْن والأحلام والكوابيس والتكرار واستنتجت أن الروائي إبراهيم نصرالله استطاع أن يصور وبدقة حالة ضياع الإنسان المغترب في روايته براري الحمى ووضع روايته بكل ما

تحمله من غرابة في جوهر السرد الغرائبي الحديث الذي يتجاور الواقع ويقدم قراءة مختلفة له. ومفالة دراسة ملامح ما بعد الحداثة في رواية براري الحمّى لإبراهيم نصرالله لأحمدرضا صاعدي وعالية جعفرء زادة المنشورة في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها العدد ٧، خريف وشتاء ١٤٣٣، ١١٣-١٢٩، عالج الباحثان الجانب التمهيدي عن ظاهرة ما بعد الحداثة وظهورها في الأدب الروائي والجانب التطبيقي الذي تناول أبرز أهم ملامح ظاهرة ما بعد الحداثة في الرواية وهي المغالاة والإغراق في والتعدد والتشتت عوض الوحدة والانسجام والتخلي عن الحبكة واللابطل والشعور بالحنق والرواية الوهمية ونفي السلبية واستنتجا أن ظاهرة مابعد الحداثة تبدو أكثر وضوحاً في هذه الرواية وتجسد تياراً مسيطراً على معطياتها واتجاهاتها الفكرية والفنية وخاصة أن الكاتب استطاع أن يمثل هذه الظاهرة المحورية مثالاً فنياً متميزاً ويجعلها علامة في الأدب ما بعد الحداثي.

نظرة عابرة إلى إبراهيم نصرالله ورواية براري الحمى

تمكن نصرالله بفضل إبداعه المتعاقب المتميز أن يحقق حضوراً بارزاً على مستوى الوطن العربي والعالمي. براری: جمع، مفردها بريه وهي الصحراء ـ تدل على منطقة بميزات مختلفه منها: الامتداد، الحر، الحيوانات والمراد بها القنفذة. الحمى هي حالة مرضية تتبين بظهور علامات معينة منها: ارتفاع شديد في درجة حرارة الجسم والصداع والألم في العظم، كما أنّ إضافة الحمي إلى المكان (البراري) وجعلها مضافاً إليه لتكتسب دلالة البراري التخصيص بالحمى، مما يعني أن البراري التي تنسج شبكة النص الروائي غير قادرة على إنتاج شيء غير الحمى، إذ تقترن الحمى بالمكان بوصفه بقعة جغرافية من ناحية وتأثير هذه البراري المقترنة بالحمى علي الشخصيات وأهمها بطل الرواية أستاذ محمد حماد. إن رواية براري الحمي «يستشفّ من عنوانها أن لها علاقة بالحلم والكابوس، إذ هي عمل يحكي قصة مريض داهمته الحمّي فتغلغل الكاتب في دهاليز ذهنه المحموم ورصد ما دار فيه من معاناة طيلة يومين من التخبّط بين كوابيس النوم واليقظة، لدرجة يصعب فيها علي القارئ أن يفصل بين الأحداث الواقعية الفعلية في الرواية وبين ما ينتجه ذهن البطل المحموم من أحداث خيالية» (لعايز، ٢٠١٩، ٣٥٣).

البطل في الرواية الحديثة

يمكن أن نجد في الرواية الحديثة ما يوحي ببقايا بطولية تنتمي إلى بطولة القرن التاسع عشر من حيث الاسم الشخصي والعائلي وطبيعة العمل والقسمات المحددة، ولكننا نعلم (إن العصر الحديث ليس عصر الأشخاص المتميزين، المحددي الملامح، بل عصر الفرد الضائع في غمار الناس ولذلك فهو فرد بلا ملامح وعندما نعطية وجهاً أو اسماً فنحن نعطية شيئاً لا يقدم ولا يؤخر في وجوده ولم يعد المثقف المعاصر ينظر إلى البطولة في الرواية الفنية على أنها بطولة فردية يجب أن يقف فيها البطل في وجه المجتمع متأففاً، متضجراً، متمرداً، ثائراً وغريباً، بل ينظر إليها من خلال إدراك البطل أن مشكلاته لا تحل إلا بحل مشكلات المجتمع وقضاياه وهذا يعني أن الفرد لا ينفصل في نظرته لمشاكله وقضاياه عن قضايا ومشاكل المجتمع وأنه جزء منه ويعاني مما يعانيه أفراده من قضايا سياسية واجتماعيه واقتصادية ومن قضايا صراع وتحرر ومن صراع ضد التخلف الاجتماعي والثقافي. انطلاقاً من هذا فإن أزمة المجتمع هي أزمة البطل الذي تحل بأوجه مختلفة سواء كانت أزمة سياسية أم اجتماعية، أم فكرية، أم دينية ... ويحاول أن يتعرض لها بغية أن يجد لها حلولاً تتفق مع حاجة الأمة ومتطلباتها. اهتم قسم من كتاب القرن العشرين بواقع الإنسان وذاته في ظل وجود مسيطر ونفس قلقة باحثة عن الحل؛ لذا عمدوا الوهم والحلم لشعورهم أنهما الأمل بالخلاص من الهموم الحياتية وأن كان هذا الخلاص أقرب إلى (الخلاص المتافيزيقي) ولذلك كانت نتاجاتهم تتشبث بالوهم والحلم للتبشير بأهمية التغيير الاجتماعي إلى أن هذا الوهم أو الحلم قد تحول لدى بعضهم إلى خلق الكائن النموذجي وهم الأبطال (عليان،٢٠٠١م: ٣٨). إن ملل الانتظار الطويل وعبث المقاومة النابع من الإحساس الشديد بالضعف عند هؤلاء القصاصين، فضلاً عن الخوف مما ينسجم عن التقدم الحضاري من طغيان الإله على حوله أ كان بشرياً أو شيئياً، تسبب في أن يظهر أبطال القاص كغيرهم من القصاصين ميالين إلى العزلة عن المحيط الخارجي بشكل قسري واضطرارى في أغلب الأحيان كرد فعل هروبي من

الصدام ولاسيما عند الأبطال المثقفين نتيجة لانعدام التأقلم مع المجتمع أو لشعورهم بالحرمان العاطفي (المصدر السابق، ٨١). كانت الجموع الفلسطينيه المقتلعة من وطنها تفتقر إلى مواصفات الحياة الانسانية، حيث الفقر وأهوال البحث عن رغيف وبيت ومدرسة لنظام البلد المتحضن. إن هذه التجربة المريرة أفضت بالإنسان الفلسطيني أن يشق طريقه ويبحث عن طريق لحياه أفضل ويمكن البطل في هذا الطريق أن يقع ضحية ويتبعه قمع اجتماعي وسياسي والمراد من الضحية هنا ليس ضحية الظروف الإنسانية العامة كالموت والمرض وغيرها بل معاناه الإنسان من العذاب والفقر والمشاكل التي فرضتها عليه التقاليد والعادات وأفعال الآخرين. اتفق الدراسون والنقاد على تلاشي مفهوم البطل في الرواية المعاصرة، بعد أن ساد في الروايات الكلاسيكية السابقة، رومانسية كانت أو واقعية، فتغير مفهوم البطل في الرواية ما بعد الحداثة، وسمي بالبطل باعتباره بديلاً لوصف الأفعال الإنسانية المتناقضة. هذا ويمكن أن يجد القارئ في الرواية الحديثة وما بعدها، ما يوحي ببقايا الملامح بطولية تنتمي إلى بطولة الروايات الكلاسيكية السابقة من حيث الاسم الشخصي والعائلي، شأن ما نراه في رواية براري الحمى وكذلك طبيعة العمل والقسمات المحددة ولكننا نعرف أن المجتمع المعاصر يعاني من أزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية وحتى دينية، حيث أصبحت سمة العصر في القرن العشرين هي التفتيت والتجزي والضياع الأخلاقي بفعل المدخولات الفكرية والحضارية ونتج عنها خلخلة في معايير القيم والتقاليد على مستوى الفرد والجماعة ولذا تأثر البطل بالروح السائدة في هذا العصر وأصبح نتاجاً لهذه المتغيرات الاجتماعية والعلمية والفكرية والاقتصادية. وقد ظهر هذا الخلل بشكل واضح في رواية "براري الحمى": فنجد البطل في "براري الحمى" لم يفعل شيئاً مما يفعل البطل في الرواية التقليدية، ولم يحدد إبراهيم نصرالله في نهاية الرواية عاقبة البطل، بل يغرقه في بحر من التحير والإبهام، ويطرح آراء مختلفة حول محمد حماد مما يمكن القارئ من اختيار المصير الذي يراه مناسباً للبطل المعظل: (فتحت الباب/ خمسة كانوا .../ قلت: أنت الأستاذ محمد/ قال:

الأستاذ محمد لا وجود له، لا يوجد غيرك هنا/ حدقتَ في وجوه الآخرين، لما تزل دائرة الضوء تحاصر وجه أولهم/ قلت: أين وجدتموه؟ ... قالوا: هذا ليس الأستاذ محمد .../ صرخت: هذا انت ../ أنت الأستاذ محمد/ قال: لا .. أنت الأستاذ محمد فقط .../ بصوت واحد قالوا: لقد أعددنا كل شي .. النقود،، التابوت، ولم يبق سوى شيء واحد .. جثتك./ -جثتي؟!.../ قلت: ولكنني لم أَمُتْ./ قالوا: أنت تقول ذلك، ألم تبك حين غادرناك في المرة الأولى/ (نصرالله، ١٩٩٩م: ١٥٧-١٥٨). ويقول في موضع آخر من الرواية: ركضتَ باتجاه أحدهم، أمسكت به/ قلت: ها أنت أخيراً .. ها أنت تعود.../ ركضت باتجاه آخر، كان قادماً من ساحة السوق الترابية./ قلت: ها أنت أخيراً .. ها أنت تعود./ ــ هل جننتَ يا أستاذ محمد .. من الذي عاد/ قلت: من الذي عاد؟ أنت. أنا ../ ومضى ../ صرختَ: كلكم غائبون، كلكم غائبون./ (المصدر نفسه: ١٦٠). فنجد الالتباس في الرواية هذه إذ تسيطر على رؤية البطل التهويمات الذهنية والتخيلات المشوشة لامتزاج الحلم بالحقيقة وكذلك نواجه بالشخصيات ذات مصائر مشوشة (عبدالرحمن، فاطمة، العمة صالحة، حنش، ابنة سعد، سعد و...) يصورها لنا إبراهيم نصرالله. إن وجهة النظر التي يمكن فهمها من أفكار محمد حماد تتضح أثناء الرواية والذي يعيش الحاضر بشكل مستمر وليست لديه ذكريات عن ماضيه، فقد فشل سريعاً محاولته في تذكر ذكرياته وعلى الفور يتضح أنه منقطع ليس فقط عن ماضيه بل عن ذاته الحالية كذلك عندما يسعى إلى إثارة أحاسيس معينة يظهر أنه غير مسيطر على أحاسيسه.

نجد أن إبراهيم نصر الله يقطع بطله عن أية علاقة من شأنها أن يمنحه هوية خاصة به وتفسير لوجوده، فإنه منقطع عن ذاته وعن الآخرين وأن الواقع الغريب وأرجاء العالم منقطعة في وجهه فعندما اتهم محمد حماد بقتل رفيقه يحاول إخماد خوفه بواسطة اعتقاده بالله تعالى، كما أنه يبدو في البدلية لا تناسب وصفه بالقتل: (قال: إني ألقي القبض عليك ... وأشار بإصبعه إليك .. رافعاً يده كأنه يصوب مسدساً بين عينيك/ -

لماذا؟/ - بتهمة قتل رفيقك حماد/ - وهل وجدتم جثته؟/ - لا/ ــ هل وصلتم إلى ثريبان... بالطبع لم تصلوا/ - لا/ ــ هل حققتم في الأمر؟/ لا ... ولكن الشبهات تدور حولك/ لن تلتصق بي هذه التهمة بكل هذه الهدوء/ أنا لا ألصقها بك، لقد قتلته، الرئيس يقول لابد أنك أخفيت جثته رفيقك/ ولكن هذه تهمة خطيرة تنقلني إلى الرفيق الأعلى) (المصدر نفسه، ٢٦). إن المؤلفة التي تنفي الهوية الذاتية عن البطل تنفي بإمكانية أن تجد الخلاص في أرجاء الكون الرحبة أو في الحب، فهو يتواجد في فراغ واهم وخيالي وهو لا يمتلك الخيار ويعيش في غربة وبدون علاقة حقيقية مع شخصيات أخرى تتعرض طريق حياته ويبقى البطل وجود قابض للنفس وشعور بعدم الراحة والخوف من الموت ومعرفة يقينة بأن حياته مهدمة: (تدلى الصمتُ من سقف الغرفة .../ الصمت صحراء واسعة .../ و كان عليك أن تخترقها قبل أن يداهمك الموت عطشاً ... أو عزلةً.../ الجدران ... الخفافيش ... عصافير الصعو والقرود .. الصقور .. ودبيب النمل الأبيض.. كلها اختلطت دفعة واحدة .. في جسد الصمت الهلامي.../ الصحرا واسعة، وأنت أعزل ... مطارد ... إلى أين تستطيع الوصول قبل أن يبلغك الموت، جبينك يحترق .. أطرافك .. والبعوضة .../ لم يكن أمامك وقت لتلتفت خلفك أو فوق رأسك .../ اختلط العرق بالرمل، فكان الطين، فتشت عن خلاياك، لم تجد منفذاً يقي خارجك من أيدي الموت المتقدم) (المصدر السابق، ٦٥) وكذلك تتضح في شخصية محمد حماد صورة البطل المتفرج الذي لا يشارك ولا يفعل فعل ذلك البطل الذي يصاب بالخوف ومعاناة المشاكل وخيبة الامل وذلك على عكسه. (لست أدري الآن كيف التقيتما أول الأمر، ظاهرة نسيان الوجوه وهروب الزمن، تسكنك بقوة يوماً بعد يوم، كأنك تعيش وكأنك ميتٌ في نفس الوقت، كأنك ميتٌ وكأنك تعيش بين الكابوس والصحو الأكثر قسوة تقيم مملكة اللاوجود وحكايات أوشك أن تقال، عمراً أوشك أن ينحلَّ، موتاً أوشك أن يصبح عمراً لكل شيء هنا ...) (المصدرنفسه، ٦٦). بإمكاننا أن

نتصف رواية "براري الحمى" برواية مضادة، بما أن البطل أصيب بخيبة الأمل والرواية هذه دائماً تعبر عن الحوادث المرة كأن البطل لم يعجبه أي حدث أو شخص و... فيشعر بالموت والألم؛ إذ يهتم بالحياة والحوادث الموجودة فيها والحديث يدور حول التشاؤم والخشونة وعدم الراحة والغربة.

اقتراب الروائي من بطل الرواية

أثناء تقسيم فلسطين التي كانت نكسة حقيقية للشعب الفلسطيني والعالم العربي واضطر على إثرها جزء كبير من الشعب الفلسطيني إلى الهجرة ومغادرة فلسطين إلى الأراضي العربية الأخرى وكانت عائله نصرالله من تلك العوائل المهاجره، فاستقر بها المقام في عمان "عاصمة الاردن" وهناك ولد نصرالله في عام ١٩٥٤ ودرس في مدارس الغوث وأكمل تعليمه في معهد المعلمين، اتجه بعد ذلك الى المملكه العربية السعودية وعمل هناك مدرساً لمدة عامين. ان مرارة التجربة التي عاشها في السعودية، فضلاً على تجربة أخرى عاشها في فلسطين أثناء زيارة لها كان الأثر الأكبر في أن تنحو كتاباته منحى سياسياً نوعاً ما، لاسيما أنه قد بحث عن قريته فلم يجدها إذ محاها الصهاينة من الوجود، فحياته كانت قصة اغتراب في اغتراب.

يتجلي إبراهيم نصرالله بتجسيد مشاعر وعذابات محمد حماد مشاعر المهاجرين من بلاد الشام الذين اقتحموا بلاد النفط للعمل مضحين بمكانهم في الوطن الذي اعتادوا على العيش فيه الذي احتضن طفولتهم وأحلامهم وآمالهم، غادروه إلى مكان يعتبر في المستوى القومي امتداداً لانتشار أمتهم، غير أنه ليس مكانهم ولم يكن الإطار الاجتماعي الذي يمكن أن يحتضن طفولتهم ويتمسكوا فيه رجولتهم، هكذا نشأت لديهم المشاعر الفردية للمكان كبنية اجتماعية، اقتصادية، ثقافية وهذا الروائي كان واحداً من هولاء الذين وفدوا إلى صحراء القنفذة بالمملكة السعودية ودرسوا فيها وبإبداعه لرواية براري الحمى، يكون قد كتب عن تجربة حياتية مريرة وقاسية عاشها في جنوب الجزيره العربية ولذلك يعد هذا النص الروائي نتاج علاقته المباشرة بالواقع، لأن الواقع المادي بأشيائه وأناسه وذواتهم يؤثر في الإنسان، فيحمله على الكلام، كما يحمله هذا الكلام بدوره على الكلام الذي يتحول إلى كتابة التعبير عن هذا الواقع المادي وإبداع هذه

الرواية على الرغم من كونها متحت مادتها من الواقع الموضوعي وأخذت على عاتقها صياغة الواقع بكل تناقضاته ومعطياته الموضوعية والذاتية وعرضت نموذجاً إنسانياً، يفتقر إلى العلاقات السوية المنسجمة مع عالمه. لا يمكن أن يعد نصاً روائياً هجائياً للمكان المضاد للمكان الآخر (الوطن) في مدونة الإبداع الروئي العربي لأن المحتوى الظاهر ليس هو الأكثر أهمية وإن من الممكن بلوغ طبقات من الدلالة أكثر عمقاً، كامنة تحت غلاف تصويري واضح ومن هنا يمكن القول: إن الروائي نصرالله بإسناد هذه الوظيفة البنائية إلى الشخصية الروائية محمد حماد، رغب في خلق عالم جميل بديل عن العالم الكائن في صحراء القنفذة وقد قال في إحدى شهاداته: "براري الحمى كانت بمثابة خلق شيء خاص حميم بالنسبة لي، كنت أريد خلق أسطورة الحياة في ظل الصحراء أو في جحيمها" ولأن إثراء الفقر الصحراوي بما يعبر عن الحياة الكريمة بوجهها الجميل يبدو ضرباً من المستحيل، لم يتمكن محمد حماد من إقامة هذا العالم البديل في صحراء القنفذة لأنه وحيد "أنت الآن لن تستطيع، لن تسطيع وحدك" (المصدر نفسه، ٥١).

لذلك تميز هذا النص الروائي عن بقية النصوص الأخرى لنصرالله، من خلال حجم الاهتمام الكبير الذي أولاه لفردنة الشخصية الروائية والعرض المتصل بالمكان ومن خلال جعل الشخصية الروائية على مسار الحكي في بؤرة الصراع مع الأحداث فيه والشخصية الرئيسه هنا معلم شاب ذهب ليدرس في منطقة نائية منعزلة من الجزيرة العربية، مثله في ذلك مثل مئات من المعلمين الذين ينقلون من جميع أقطار الوطن العربي لتلك الغاية مثل نفس الكاتب (إبراهيم نصرالله)، فهو يستعيد تجربة ممضة بالغة بالإيلام من الاغتراب والوحدة، فهو مبتلى بالهلوسات والمخاوف وضروب الهلع والكوابيس والحرمان المطلق في مواجهة المتطلبات الأساسية للعودة إلى حالة سوية، فحياته في واقع الأمر عذاب محض وكثيراً ما نجد في الرواية خلطاً تاماً بين الواقع والحلم وبين الخيال والحقيقة ووحدة غريبة بين عالمي الانسان والحيوان وتبلغ قوة المكان وهو الصحراء هنا، حداً تجعله يحل محل الزمان والذي يجري في كل اتجاه ويلف دون انتظام الماضي والمستقبل عائداً إلى الماضي مؤكداً السيطرة الكلية للمكان. هذه الرواية تتضح

بألم وكرب يمثل نموذجاً لتجربة آلاف الشبان منذ اكتشاف النفط في الجزيرة العربية. فيما يخصّ كتابة الرواية فيقول نصرالله: (الكتابه يوْسسها النداء الداخلي أكثر مما تؤسسها الرغبة)، فالنداء الداخلي الذي يقصده هو ذلك الدافع الذي يحرض الكاتب على التقاط الحساسية المناسبة وصياغتها في نص أدبي يخلق حالة من التوازن الروحي والنفسي ويحيل على جنس أدبي من دون آخر، هذا النداء هو الذي دفعه إلى استكناه عالم الرواية الذي وجد فيه ملاذاً رحباً للتعبير عما يريد، لاسيما وأن ما يريد التعبير عنه يكون قاصراً فيما لو حال التعبير عنه شعراً.

ازدواجية شخصية البطل وماهيتها

الف) ازدواجية الشخصية

شخصية مزدوجة أو ازدواجية الشخصية (Dual personality) كناية عن خلل أ اضطراب شعقلي يعتري الذات والآنية ويصيب الوعي، فيشعر الشخص بأن ذاتيته عرضة للتغير والتفكك، والازدواج يشير إلى تناوب شخصيتين، الواحدة منهما مستقلة عن الأخرى، بحيث يصبح المرء كمن يعيش حياتين دون اتصال بينهما أو إدراك من جانب الحياة الواحدة لما تقوم به الأخرى من أفعال وأعمال (عواد، ٢٠١١، ٣٢٦). عرفت ازدواجية الشخصية على أنها إحدى أشكال الانفصال الحادة وهي عبارة عن عملية عقلية تؤدي إلى ضعف اتصال الشخص بأفكاره وذكرياته وكذلك مشاعره وأفعاله أو إحساسة في هويته. يصور نصرالله بطل روايتة علي حالة ازدواجية (ثنائية) في شكل حين يقرأ القارى هذه الرواية لا يمكن له أن يعين أين هو البطل المقصود إذ تكون القراءة في مرة واحدة ودون تدقيق فيها، ويمكن أن لا يعرف البطل. علي سبيل المثال إليك الأسطر التالية: «ـما اسم رفيقك؟/ لم تعرف من الذي سأل .. الشرطي أم الضابط .. وجهان للحائط .. وصوت مغروس بالخمول/ ـ اسمه محمد حماد .../ تململ رئيس المخفر فوق المقعد الخشبي .. ولوّح بقدميه العارتين، إلّا من شَعرٍ سلكيّ نافر .. ثمّ ألقي بقدمه اليمني إلي الأرض/ ـ وما اسمك أنت؟/ وهنا/ أدركتَ أن المشكلة ستتعقد .. وأن أحداً لن يصدقك .. وأنك تهتز مثل ورقة توشك أن تنفصل عن

غصنها وتهوي/ ــ قلت اسمي محمد حماد□ (نصرالله، ١٩٩٩، ١٦-١٧). يتمتع الراوي في سرد أحداث هذه الرواية بحرية كبيرة في استخدام الضمائر، فلا يسيطر عليه هاجس الفصل التام المبدع والراوي والشخصية الرئيسة (البطل) ويراوح السرد بين الستخدام ضميري الغائب والمتكلم في النسيج النصي، يتولى الراوي العليم رواية الأحداث بضمير الغائب، بما يوحي بالانفصال التام بين المبدع والراوي والضحصية الرئيسة وتبعد ظلال السيرة الذاتية عن ذهن المتلقي من خلال اختراق الميثاق السير الذاتي وخلخلة اندماجاته الثلاثية (اندماج المؤلف والراوي والشخصية الرئيسة).

إنه من الواجب علينا كقراء أن نبحث عن البطل في نص الرواية، كشخصية على علاقة مباشرة بالفكر الذي انتجها بموقف صاحب هذا الفكر (المؤلف) من خلال البنية الفكرية، فالفكر المثالي ينتج بطلاً (سلبياً أو إيجابياً) والرواية الثورية تنتج بطلاً ثورياً، هذا البطل بشكلية سلبية أو إيجابية سيصل إلى النتائج الهادفة (إسماعيل، ٢٠١٤م، ٣٧). إن الأحداث التي جرت في الرواية، يفترض القارئ إنما جرت فعلاً في حياة البطل على خلاف الأحداث ذات الصفة التخييلية الخالصة التي نطالعها في الروايات، فالواقع الإنساني يضم أحياناً أحداثاً وحالات لا حصر لها تتسم بالغرابة، العجائبية واللامعقولية، بينما يحرص الكاتب الروائي الذي يريد إيهام الآخرين بواقعية أحداثة وإمكانية حدوثها في الحياة، على أن يخلص أحداثه مما يعلق بها من أمور خارجة عن المألوف يمكن أن تؤدي إلى التشكيك بواقعية المزعوم (المصدرنفسه، ١٢٣).

ب) ماهية الشخصية

إن الشخصية في الرواية ليست شخصاً حقيقياً عاش في الواقع والحياة، رغم أنها قد تكون مأخوذة عن شخص عاش حياة حقيقية، إلا أن هذه الشخصية في الرواية ما عادت هي ذاتها التي كانت، فالروائي أدواته فيها داخل إلى بواطنها وأعماقها ويكشف لنا عما كان مستتراً من حياتها فهي تنتمي إلى عالم تظهر فيه الخفية، فتكون مستوحاةً من الحياة الانسانية والنماذج البشرية في أي عمل قصصي تمثل الانسان الذي يعيش في الحقيقة وإن الكاتب لا ينسخ نسخاً من الحياة ولكنه يقتبس منها ما هو بحاجة اليه وبضع الملامح

استرعت انتباهه ومن ثم يأخذ في تشكيل شخصيته. تعتبر الشخصية في العمل الروائي عنصراً أساسياً، إذا كانت تمثل البطل الروائي فإن أهميتها تزداد وحضورها يكون طاغياً على مجمل أحداث الرواية. فالبطل في الرواية شخصية مركزية تدور حولها شخصيات ثانوية، تضيئها وتستضاء به، وتنتج معاً فعلاً روائياً، يعيد تعريف الشخصيات جميعاً، فاللغة لها نصيبها من البطولة كونها أداة الاتصال وموقع إنتاج المعني وجزءً من البطولة يذهب إلى منظور العالم ولا يوجد إلا به، فالمنظور يضيء دلالة البطل في طبقاته المختلفة. إن صح القول وعلى حقب اجتماعية متعارضة، تسقط بطلاً وتعلي من مقام بطل آخر، فملامح البطل من ملامح زمانه ولا يوجد مستقراً إلا إذا كان بطلاً فارغاً. إن الروايات التقليدية هي التي تمركز العمل الروائي على شخصية واحدة، هي شخصية البطل التي تحيل على الحكايات الشعبية ولكن مع دور البطل في الروايات، تغيرت المفاهيم نحو الشخصيات، فغدت البطولة قيمة جمالية مستبعدة كثيراً، ليحل مكانها الشخصية أو الشخصيات الرئيسة وأحياناً لا تكون هناك شخصيات رئيسة بقدر وجود شخصيات أو علامات تودي أدوراً معينة في بنية السرد، يمكن أن نسميها أدواراً فاعلة بحسب حجمها أو دورها مثل دور المرأة في هذه الرواية التي لا تظهر إلا في لمحات قليلة وليس لها دور هام ومؤثر في سرد الرواية وعلى شخصية البطل ولا يبين أثرها ودورها في ذلك المجتمع وكما يظهر أن ليس للمرء في تلك المنطقة دور هام أو أثر أو حق أن تتداخل في الأمور وتكون ضحية غالباً (أبوتحفه، ٢٠١٧م، ١٢٦).

اعترافات البطل بالخوف والعوامل المؤثرة على كآبته

إن الاعتراف يجعل الشخصية الروائيه تغدو داخل الحكي مصدراً للمعلومات والأفكار والمواقف التي تخصه وبذلك يسهم في كشف جانب مهم من كينونته وفي توضيح الفكرة المراد حكيها وهو يتواتر بشكل ملحوظ في النصوص الروائية التي تمد حيزاً واسعاً للسارد المتماثل حكائياً والسارد المشارك. يبين الكاتب في الرواية الوجوه السلبية في المجتمع الذي يعيش فيه مثل الفقر والبؤس والوحدة والوحشة وموت الانسانية ويصف البطل هو الضحية والمأساوي ولا يمتلك الخيار ويعيش في غربة وبدون علاقة حقيقية مع شخصيات أخرى تتعرض طريق حياته وكذلك تتضح في شخصية محمد

حماد صورة البطل المتفرج الذي لا يشارك ولا يفعل فعل ذلك البطل الذي يصاب بخيبة الأمل وهو كبطل الرواية يغرق في بحر الأوهام والوحشة القاتلة والكوابيس ويترقب الموت بكل كيانه.

فـ(محمد حماد) سارد مشارك في رواية براري الحمى وفي المشهد الذي حكاه، اعترف بالحالة التي ألمت به "وما إن ابتعدوا حتى انتابني الحزن فجأة علي، كنت عارياً إلا من خوفي، ووحيداً حتى حدود الغياب، فبدأت فصلاً طويلاً من البكاء وروعني خبر موتي حين يصل أخي نعمان ومن بين دمعتين تساءلت ماذا ستفعله أمي" (نصرالله ١٩٩٩م، ٩). يعترف الأستاذ محمد حماد في هذا المقطع الحكائي بالحالة المؤلمة (الحزن والخوف) التي ألمت به بعد أن جاءه خمسة رجال قبيل بزوغ الفجر وطلبوا منه دفع مائة ريال سعودي نفقات دفنه وفي سياق اعترافه حدد نوع علاقته مع البشر (عزلة) في تلك المنطقة من صحراء السعودية ولذلك لم يستطيع أن يفعل شيئاً سوى البكاء ولهذا الاعتراف قيمة بنائية في الحكي، فلولاه لبقيت حالة الشخصية طي الكتمان، لأن محمد حماد سارد مشارك في الحكي وكذلك يمكن العثور على مجموعة من القيم في ثنايا الاعتراف، حيث كشف عن جانب مهم من ملامح الشخصية الذاتية وبين قدرتها على إبراز حجم معاناتها وبراعتها في إثارة مشاعر المتلقي ودفعه إلى التعاطف معها (أحمد، ٢٠٠٥م، ٤٥) وبموقع السارد الاستراتيجي المهيمن علي منظومة الرواية ومعرفته الدقيقة لطبيعة الأحداث ومنطقها وقربه من الشخصيات وتلمسه لأفكارها ودواخلها كل ذلك يؤهّله لأن ينوب عن الشخصية في تقديم أفكارها وأفعالها، فالسارد في رواية براري الحمى قدم (أبا محمد) بهذا الشكل: « كان أبو محمد يتلفتُ .. يدور بين صناديق الخضار ويطيل النظرَ في حبات البرتقال التي استقرتْ تحت أشعة الشمس، عشراتٍ من الشموس الصغيرة الطيبة، اقتربتْ يده مرتجفة متعبة بعروقها الفارّة من حنطة الجلد .. وسنوات الكد .. ولامست الشموس/ ثم عادتْ مطعونةً□ (نصرالله، ١٩٩٩م، ١٢٩). يركز السارد في هذا المقطع الحكائي في تقديمه للشخصية على الحركة الخارجية التي تبين الارتباك الذي انتابها وبلورت موقفها، فلما كانت تتحرك، لفت انتباهها حبات برتقال براقة فبدأت تتأملها وإحساس ما ملأ داخلها ومنعها من أن تلمس تلك الحبات بسبب

خوفه والسارد قدم فاطمة أيضاً. «نظرتُ إلى وجهها، كان طيباً أكثر مما تتصور، هادئاً أكثر مما تتصور ومعذباً» (المصدر السابق، ١٣٠) حيث اعتمد في تقديمه لهذه الشخصية على تحديد ملامحها الداخلية فقط، فقربه منها مكّنه من تأمل وجهها فرأي فيه الطيبة والسكينة والعذاب لأن الوجه هو بؤرة إشعاع تشع منها ملامح الروح الداخلية والسارد لم يهتم بالوصف الخارجي للشخصية، لأنه يمهد بالوصف الداخلي لحكي معاناتها واستغلالها جنسياً من قبل أهالي منطقة سبت شمران وليهيئ القارئ إلى التعاطف معها.

العوامل المؤثرة على بؤس البطل واكتئابه

هناك عوامل تؤثر علي بؤس البطل واكتئابه في الرواية منه المكان الذي تتواجد فيه الشخوص ومن ثم الشخصيات بدورها الذي تلعبه فيها وبالتالي الإحساس بالفكرة البؤرية عن الشخصوص.

الف) المكان

إنّ المكان بالنسة للشخصية الرئيسة يعدّ الوعاء الذي تتحرك فيه، فالشخصية لا يمكن أن تعيش خارج إطار المكان ففي المكان ولدت وعليه ترعرت ونشأت وفيه تموت. فهو الحيز الذي تحويه طيلة حياته وهو ليس جامداً غير قابل للتفاعل بل هو متفاعل معها يستجيب لها ويتأثر بها (المحاسنة، ٢٠٠٧، ٥٧). إن الوسط الطبيعي الذي يميز المكان، يسهم في بلورة مشاعر الانسان وفي تحديد نمط علاقته به وملامح طبيعة القنفذة المحيطة بمحمد حماد، تمتاز بالفراغ والثبات "وأجفلت الشمس البعيدة، من بين أضلاعك ألقي القلب نظرة على المدى كان فراغاً، من المحزن حقاً أن الرياح هي الوحيدة القادرة على أن تملأه" (نصرالله، ١٩٩٩م، ٥٤). المكان هنا، واسع وممتد وفارغ من البشر والأشياء وهو يمور بالحركة العابرة التي تخلقها الرياح، وكأن هذه الحركة تحكي عن هوية المكان، وقدرة الأبدي وهذا ما يزيده قسوة ووحشة ولكون محمد حماد يتوق إلى الحياة العامرة بالبشر والخصوبة، راح يبحث عنها في هذا المكان «حدقتَ في الأفق ... في هذا الخليط العجيب من الليل والنهار .. من الحياة والموت .. وكصياد في عمق البحر، رحتَ تبحث بعينيك المحاصرتين بالفراغ عن حركة ما، حياة ما، أرض ما،/ لم يظهر في الأفق ما يشير إلى أن الدنيا تسير .. والعالم يتحرك» (المصدر نفسه، ١٣). هذا المكان المتسع يخلو من

الحركة والحياة والخصب، لخلوه من الإنسان ولهذا بدا متحجراً، فبدت الحياة فيه جامدة، لأن الانسان هو يمنح الحركة المرغوب فيها ويخلق الحياة وكذلك تمتاز طبيعة القنفذة بالقحط: "بحثت عن الشجر، عن الناس، عن البيوت الحجرية والعشش، لم يكن هناك فسحة عامرة بالبشر" لأن الانسان الميال إلى جعل الأرض الخضراء غير موجود في هذا البر من صحراء القنفذة وهذا ما جعل أحد أحلام محمد حماد يتكسر فوق هذه الأرض اليباب والانسان حين يتمنى شيئاً عاماً وبخاصة إذا كان مرتبطاً بمكان ما ولا يتحقق، لابد أن يصاب بخيبة الأمل، فيتجلى المكان عامل ضغط شديد على الانسان، حيث يهمشه ويجعله يشعر بأنه لا قيمة له، فيفقد إحساسه بالوجود في المكان (أحمد، ٢٠٠٥م، ٩٣).

ب) وظائف الشخصيات

يسند الراوي في هذه الرواية وظائف لعدة الشخصيات التي أثرت في محمد حماد، منها وظيفة التهديد لشخصية غبشان «بغتة كسهم اخترق الباب، اجتاز العتبة مرتجفاً مزبداً، ثم هوى بالبلطة على جسد الأرض ... بعينيه الصغيرتين تصفح المكان وبوجهه المصفوق فجر الظهيرة، لن تمكثوا هنا دقيقة أخرى وإلا فات أحدنا سيذهب اليوم إلى المقبرة» (نصرالله، ١٩٩٩م، ٩٣). يوضح الراوي في تقديمه لهذه الشخصية، كيفية إنجازها له (الدخول السريع والمفاجئ، تجلي الغضب الشديد، غرس أداة التهديد في أرض الفرفة، تحديد نوع التهديد). فهذا الفعل المنجز يمكن المتلقي من فهم نمط هذه الشخصية وتلمس المظاهر الداخلية التي تتأرجح في أعماقها، فهي شديدة الانفعال والغضب والتهور وأقدامها على تهديد الأستاذ محمد حماد، بحجة أنه غريب سكن أمامها دليل على أنها عديمة الثقة بنفسها وبالزوجة وبالآخرين وعلى حقدها العميق على الغرباء الوافدين وعلى أن قتل الإنسان أمر سهل جداً بالنسبة لها وكل هذا مؤشر على انحطاطها الاجتماعي والانساني والأخلاقي وكذلك وظيفة الاستغلال لشخصية أحمد لطفي إذ «لم يترك فرصة تمر إلا واقتنصها، لم يترك لقمة في يد إلا وأغار عليها، مادام باستطاعة ذلك. منذ أن وطأ بر القنفذة، خرج على الناس بهذه الصورة ومنذ اللحظات

الأولى بدأ يعمل على بناء امبراطورية الجشع ... مع جابر رئيس المخفر، أحال تلك البقعة الجرداء التي يسمونها مطاراً إلى بار ... مرّ النصف الأول من السنة، لم يحدثه أحد، وحيداً كان ومفتوناً بوحدته وينهش بلذة ذئبية، حتى أن سكان القرية لم يعد منهم من يحدثه إلا نادراً» (المصدر نفسه، ١١٣ـ ١١٤). اعتمد الراوي في تقديمه لشخصية أحمد لطفي على تحديد الوظيفة المسندة إليها موضحاً طريقتها في إنجاز هذه الوظيفة (انتهاز الفرص، سرقة الأرزاق، السعي إلى جمع المال بشتى الطرق) وهذا الهوس في جمع المال بطرق غير المشروعة، وسيلة فعالة في معرفة الأوصاف الداخلية التي تمتاز بها هذه الشخصية، فهي أنانية وطماعة وخسيسة النفس وإقامتها البار في بلد يمنع شرب الخمر دليل على عدم احترامها لتعاليم الدين ولقانون ذلك البلد ولهذا نفر منها شرفاء النفس والأخلاق، فظلت في زمن غربتها منبوذة ومكروهة والراوي قرن هذه الوظيفة بباقي المكونات الحكائية، ليبين أن المال بالنسبه لهذه الشخصية أهم شيء في الحياة والواضح أن إبراهيم نصرالله يدين بهذه الشخصية، الذين وفدوا إلى منطقة القنفذة بالسعودية وعملوا على استغلال أهلها والوافدين إليها معاً ولهذا خلت رؤيته إلى حركة الصراع الاقتصادي والاجتماعي في تلك المنطقة من مظاهر التعصب والحقد، لتتجلى بمنتهى النزاهة والموضوعية.

ج) الإحساس بالفكرة البؤرية

إن محمد حماد حمل معه في رحلته من الشمال إلى صحراء القنفذة في الجنوب، الكثير من الآمال والأحلام النبيلة وسعى إلى تجسيدها في هذه المنطقة ولكن خيبات الأمل التي تواترت عليه وحرمته طعم الحياة الكريمة، جعلته يحس بأنه غير موجود في هذا، ما ترك في نفسه آثاراً بليغة شديدة الوطء منها الشعور بالوحدة لكونه أجبر على الإقامة في بيت بعيد عن الناس وفي وسط يمتلئ بالفراغ، فأمضى وقتة مجللاً بالصمت ومطوقاً بالعزلة وهذ الإحساس يبلغ ذروته، بدفع محمد حماد إلى الرحيل عن صحراء قنفذة، التي لم يستطيع يجعلها جزءً من ذاته «سبت شمران، حاول الأستاذ محمد أن يجد امتداداً لها في روحه، هذا قال ذات مرة/ حاول أن يجد لها أفقاً في قلبه، فعرف أن

التنافر هو الصلة الوحيدة التي تربطه بها/ ها هي الآن تفتح صدرها الموحش .. نوافذها .. التي تهب منها الرياح الساخنة .. وتشرع شوارعها للصمت./ كلما مرّ بها غريب، خيل إليه أنّ حرباً وقعت، حصدت الحركة وتركت الحجارة، هي حرب غير معلنة بين دبيب الحياة وهدأة الجثث» (نصرالله، ١٩٩٩م، ١٩).

بؤس البطل وشقاؤه

لقد عكست شخصية البطل مظاهر الفقر والحرمان في تلك المناطق وعبرت عن صور فيها المرارة والحزن والتهكم. فعاشت البؤس الاجتماعي وكان مجبراً أن يعيش بوحده وإن سكان القرية كانوا بمستوى وتفكير غير تفكيره، كانوا متأخرين وعلى فكرة تعصبية وجاهلية وتكون نتيجة شعور البطل بالتفرد والغربة والاستلاب في خضم المجتمع سلبية وتتميز بأنه إنسان غامض في ماضيه يعيش بمعزل عن المجتمع ومنفرد صامت، لا أحد يقترب منه وينبعث الدمار والانهيار ينبعثان منه. تتمثل علاقة البطل بمجتمعه بالتعقيد والتقلب والإحساس بالألم نتيجه العجز عن الانتماء ويلجأ إلى العزلة والقريب من ذلك ما نجده في بعض أعمال نصرالله وبشكل خاص في رواية "عو" و"براري الحمى" وإلى حد ما رواية "مجرد اثنين فقط"، إذ ينتقل الروائي في رواياته إلى عمق المأساة الفلسطينية ويحشد كل مظاهر المعاناة والعذابات والمجازر والخيانات التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ومارست قمعاً دموياً ضده وقد آثر الروائي أن يعرض للأحداث من وجهه نظر راوٍ واحد عن طريق تبادل الأدوار أو الاندماج الذي خلق عن طريق التخييل وإيهام الشيء. يتجلي في هذه الرواية غياب الأبطال ويكون البطل كثيراً ما شخصاً واحداً وهو الشخصية الرئيسة للرواية ونجد الأحداث متفرعة ولا يربطها رابط وكل شخصية في الرواية تمثل شريحة اجتماعية من المجتمع الذي تعيش فيه ودور الأبطال هنا غالباً يكون سلبياً مثل مدير مخفر الشرطه وغبشان و...

الحلم المشروع هو حق طبيعي للانسان، واذا عجز المرء عن تحقيق حلمه الناشئ في مكان ما ستولد ذاته مشاعر تؤثر فيه وتحدد مواقفه من المكان. فمحمد حماد وهو يعاني الأمرين من تجليات طبيعة القنفذة ومعطيات المجتمع فيها ومن عدوانية بيته، سعى الخروج من أتون معاناته عن طريق الارتباط بعلاقة سوية مع المرأة (فاطمة) «بحثتَ عن

جسدك، فلم تجده ولم يكن هناك غير فاطمة. هل هي فاطمة فعلاً؟/ رأيتها .. وأوشكت أن تُقْسِمَ أن ثمة علاقة كبيرة تربطك بهذه المرأة، علاقة غامضة نبتت في هلامية الحلم وكبرتْ على أرض الواقع/ تساءلتَ .. ولماذا لا تتساءل، كلّ ما يدور حولك يشير إلي ذلك/ ليست فاطمة التي تحدث عنها الأستاذ محمد، ليست هي ولكنها ابنة أبي محمد!!» (المصدر السابق، ١٢٥-١٢٦) هذا الاحساس الذي انتابه ناتج عن حاجته الماسة للخلاص من المعاناة الواقع تحت سيوطتها ولكونه يحس أن حجم معاناته يفوق قدرة المراة،راح يتساءل: «تساءلتُ .. أتدري ..، لقد تساءلت فعلاً: هل تستطيع فاطمة أن تخرجني من هنا وكان الحلم أشبه ببئر مظلمة أو قفص؟» (المصدر نفسه، ١٣٠). العالم الخارجي المحيط به، جعله يشك في قدرة المرأة على تخليصه من معاناته ولما أراد أن يقطع الشك باليقين، دعاها إلى تحقيق ما يحلم به «-يا فاطمة: البحر أزرق، ألا يغريك ذلك، والسماء زرقاء ألا يغريك ذلك، هل تركضين إلى البحر فنعبره، إلى السماء فنثقبها» (المصدر نفسه، ١٣٥). الدعوة في هذا المضمون موجهة إلى فاطمة، دعا هذه المرأة إلى فعل شيء لعلهما يخرجان معاً إلى عالم أكثر صفاء ورحابة من العالم المقيت الذي يحاصرهما ولما أبدت فاطمة عدم قدرتها على تلبية دعوته لكونها امرأة أتبعها البغاء الذي تمارسه «لم أعد أحتمل خشونة الأيدي ولا نعومتها بين القنفذ والأفعى يُعتصرُ جسدي، كل ما لديّ من المال يستعبدني وقد قرأتُ ذات يوم بأنه يحررني، قرأتُ أنه يحررني يا محمد. وأبي ذلك الطيب الذي قال يوماً: تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ../ أكل بثديي» (المصدر نفسه، ١٣٦-١٣٧). بهذا الاعتراف تبين هذه الشخصية بؤس الحالة التي تعاني منها، حيث يتاجر والدها بجسدها ليجمع المال، فيطؤها عليه القوم وعامتهم في منطقة القنفذة ولذلك قرّر محمد حماد الابتعاد عنها وقد أرجع عدم رغبته في لقائها إلى تجليات المكان الموجود فيه وهو مكان ضيق غير صالح للتفكير بالحلم وتحقيقه على الرغم من اتساعه الهائل وهو مكان ينخر السل أهله ويسيل فيه النفط الذي خرب ذمم

الناس وأفسد أخلاقهم ودفعهم إلى جمع المال وصرفه بطرق غير مشروعة ومحرمة وبذلك عجز عن الحلم وقد أدرك هذا العجز «أنت لم تعد قادراً حتي على الحلم» (المصدر نفسه، ١٣١) واللافت للنظر هنا أنه سعى إلى الحلم على الرغم من كونه أدرك مسبقاً أن التفكير بالحلم غير وارد في هذا المكان «منذ أن خطوت فوق أرض جدة، أدركت كلّ شيء .. لا مكان هنا للحلم لا مكان هنا للواقع لا مكان هنا لغير الحُمَّى والحمى تحصد الروح، تسكن الشجرة المتيبسة وحقول الذرة .. تسكن الماء وتسكن الهواء، والحمي هنا: الغياب .. وليست الناموسة، أتدري.. القنفذة ليست القضية.. كأنه زمن الحمي وهذه طعنة الغياب.. تكتشف أنك علي حافة العالم تنتبذ الوحشة، وتأنس الذئب وبنات آوي/ كأن القنفذة تلك الطلقة التي ثقبت الإغفاءة فبدا الحلم واقعاً إلى الحد، متيبساً إلي هذا الحد» (المصدر نفسه، ١٣٨) فهو لم ينف وجود الحلم في هذا المكان فقط بنفى وجود الواقع أيضاً، لأنه وجد أن هذا البر الجاف موبوء بالحمى التي تهيمن على البشر والطبيعه والأشياء والحلم والحمى لا يجتمعان في مكان ولذلك تحول هذا الحلم المنكسر إلى عامل ضغط شديد على محمد حماد أسهم في ترسيخ إحساسه بعدم الوجود في المكان الموجود فيه وما هو جلي أنه أراد بهذا الحلم أن يجعل فاطمة (المرأة/ الخصب/ الحياة) البديل الموضوعي لـ (الصحراء/ الجفاف/ الموت) ليكسر فاعلية الصحراء/ الواقع تحت سطوة هيمنتها وليتمكن من الخروج من أتونها معافي العقل والروح فتتم عملية المصالحة مع المكان ويحس بوجوده فيه. فهذه العوامل الضاغطة التي تواترت على محمد حماد شكلت بتراكمها عائقاً منعه من تحقيق ما تطلع اليه وولد في نفسه الشعور بأن العالم يفلت من الإنسان ويرفض أن ينقاد له. مما جعله يحسب أنه غير موجود فيه ولهذا يمكن القول: إن محمد حماد ليس مجرد كلمة حول نفسه هو بالذات وحول الوسط الذي يحيط به، بل هو بالإضافه الى ذلك، كله كلمة حول العالم الموجود فيه.

النتائج

قد يكون البطل الروائي في العمل الأدبي واقعياً يقوم بأعمال خارقة تتطلب منه إبداء للتحدي والمواجهة وقد يكون فنياً يلعب دوراً رئيساً في العمل الأدبي ويكون مداراً للأحداث ولا تتطلب منه البطولة الفنية إبداءً لأية مواجهة أو مقاومة وبذلك فإن البطل هو الشخصية المركزية التي تستقطب الأحداث وتساعد في تنامي الإيقاع في العمل الروائي ويتعارض ذلك مع ما قد يقوم به من أعمال تتسم بالمواجهة والتحدي. يحاول نصرالله في هذه الرواية التي تعد من روايات مابعد الحداثية إلي رسم صوره التشرد ومعاناة الشعب الفلسطيني ويتجلي فيه طغيان الطابع المأساوي الناجم عن اقتلاع الشعب من أرضه وترحيله عنها ويصور محمد حماد الذي هو بطل الرواية ومعاناته وصعوبات حياته في صحراء القنفذة واعتزاله عن الناس كشخص مأيوس من الحياة ويترقب الموت ولا يحرّك ساكناً للتخلص من هذا الأمر ويكون دوره كبطل ضحي، مغترب ومأساوي وذو شخصية مزدوجة ولا يمكن أن يعرفه القارئ بسهولة ومنذ قراءة الرواية في مرة واحدة حياته تقترب من حياة الكاتب كمعلم في التشرد والغربة والعذاب التي عاناه آلاف الشباب الفلسطينيين للعيش. إن رواية براري الحمى لا تهتم بوجود البطولة أو الشخصية المحورية ذات سمات وملامح معينة فالشخصيات في هذه الرواية بلا ملامح أو أبعاد حاسمة وليست سوى رموز أو ضمائر بلا نهاية ونجد نصرالله يقطع بطله عن أية علاقة من شأنها أن يمنحه هوية خاصة به وتفسيراً لوجوده فإنه منقطع عن ذاته والآخرين فنجد الالتباس في الروايه هذه، إذ تسيطر على رؤية البطل التهويمات الذهنية والتخيلات المشوشة لامتزاج الحلم بالحقيقة وكذلك نواجه الشخصيات ذات مصائر مشوشة وضبابية يصورها لنا الروائي وهي ترفض الأسس الجمالية والفكرية والإيدئولوجيات السائده وتسعد لصياغه قيم التعدد وإرساء التيه والغموض والرؤية اللايقينية ويصبح التمرد سمتها البارزة التي يصعب دفعها أو تجاهلها. من هؤلاء

الأبطال فاطمة وهي تلعب دور الضحية التي ضحّت بأبيها من أجل جمع الأموال وغبشان كبطل سلبي إنسان شكاك يكون عنده قتل الإنسان أمراً عادياً وأحمد لطفي شخصية مستغلة يستفيد من أية فرصة لجمع الاموال ولا يفكر بأمر غير ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو تحفة، إبراهيم علي محمد (٢٠١٧): الرواية التاريخية عند ابراهيم نصرالله زمن الخيول البيضاء وقناديل ملك جليل نموذجاً، جامعة النجاح الوطني فلسطين.
٢. أحمد، مرشد (٢٠٠٥): البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصرالله، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٣. الأزرعي، سليمان (٢٠٠٢): فلسطين في الرواية الاردنية، عمان: اللجنة الوطنية العليا.
٤. إسماعيل، جبارة (٢٠١٣): شخصية البطل وإنتاجها للمعنى السوسيولوجي من خلال ثلاثينية مولود فرعون، جامعة حاج لخضر، باتنة.
٥. البحيري، أسامه محمد: الحداثة وما بعد الحداثة في الرواية المعاصرة، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر.
٦. بياتي، سوسن، صابرعبيد، محمد (٢٠٠٧): الكون اروائي اللملهاة الفلسطينية . ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٧. الجيوسي، سلمى الخضراء (١٩٩٧): موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، بيروت: الموسسة العربية للدراسات والنشر.
٨. حسيني، عبدالله (٢٠٠٦): صورة البطل في اعمال غسان كنفاني الروائية- قراءة في(رجال الشمس) و(ماتبقى لكم)، طهران جامعة الخوارزمي.
٩. صاعدي، أحمدرضا، جعفري زاده، عالية (١٣٩١): دراسة ملامح ما بعد الحداثة في رواية براري الحمى لابراهيم نصرالله، مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها بجامعه اصفهان.
١٠. عليان، حسن (٢٠٠١): البطل في الرواية العربية في بلاد الشام، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١١. عواد، بوبكر (٢٠١٦): الاغتراب في الرواية الاردنية المعاصرة غالب هلسا، جامعة العربي التبسي، الجزاير.
١٢. عواد، محمود (٢٠١١): معجم الطب النفسي و العقلي، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
١٣. عودة، علي محمد (٢٠١٨): دراسة في الرواية الفلسطينية، القاهرة: مكتبة جزيرة الورد.

١٤. غياثي شهري، بي بي زهرة (١٣٨٧): نوگـرايي در آثار ابراهيم نصرالله، رساله ماجستير، جامعه تربيت مدرس، طهران.
١٥. القزك، عمر سعيد عبدالجبار (٢٠٠٤): الشعراء الروائيون في فلسطين، نابلس، فلسطين رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
١٦. لعايز، فاطمة الزهراء (٢٠١٩): تشكلات الغرابة في رواية براري الحمي لإبراهيم نصرالله، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الرابع والعشرون، جانفي.
١٧. المحاسنة، شرحبيل إبراهيم أحمد (٢٠٠٧)، بنية الشخصية في أعمال مونس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة.
١٨. محمد سليمان بشارات، أحلام (٢٠٠٥): البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين من عام ١٩٩٣ ـ ٢٠٠٠، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
١٩. نصرالله، ابراهيم (١٩٩٩): براري الحمى، ط ٣، بيروت: المؤسسة العربية والنشر.
٢٠. النفطجي، سنان عبدالعزيز (٢٠١٢): القصة القصيرة عند جليل القيسي (دراسة نفسية وفنية)، عمان: دار غيداء.
٢١. نمران، أميرة عبد الحميد جابر (٢٠٠٤): صورة البطل في روايات الارض والفلاح في الأردن، رسالة الماجستير، الأردن: جامعة آل البيت.
٢٢. يعقوب، ناصر (٢٠٠٤): اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (١٩٧٠ـ٢٠٠٠)، ط ١، بيروت: الموسسة العربية للدراسات والنشر.